١-١ المقدمة

تعتبر الجغرافيا الطبية احد فروع الجغرافيا التطبيقية، ويشكل الاهتمام بصحة الإنسان محور ارتكاز لها، ذلك أنها تدرس الجوانب الجغرافية لتوزيع الأمراض التي تصيب الإنسان وتوضح علاقتها بخصائص البيئة (شرف،٢٠٠٣م، ص١١). وتعود الجذور التاريخية والبدايات الأولى لهذا الفرع من المعرفة إلى زمن موغل في القدم. فقد ظهرت كتابات عدة في مجال الجغرافية الطبية منذ عهد الطبيب الإغريقي أبوقراط في القرن الخامس قبل الميلاد، مما يدلل على قدم هذا العلم وأهميته منذ ذلك الوقت. كما أن بعض الجغرافيين المسلمين في العصور الوسطى قد لاحظوا العلاقة الكبيرة بين المناخ والصحة والمرض (سيد والبيوك، ١٩٩١م، ص١). ومن أؤلئك الجغرافيون ابن حوقل الذي حاول الربط بين المناخ والنشاط البشري، والمقدسي الذي كتب عن عين ماء بطبرية تشفي من بعض الأمراض. وهناك ابن خلدون وما ذكره عن اثر الهواء في أخلاق البشر والعلاقة بين المناخ وسلوك الإنسان (محمدين،١٩٩٣م،ص٣٤٣). وأخيراً هناك كتاب المسعودي "مروج الذهب" الذي تطرق في قسم منه إلى العلاقة بين البيئة وصحة الإنسان. وعلى الرغم من أن تلك الدراسات تمثل المساهمات الأولى ولها قصب السبق، إلاَّ أنه يلاحظ عليها جميعاً العمومية في الطرح وعدم تخصصها في مجال معين.

وقد بدأت الدراسات العلمية الجادة في مجال الجغرافيا الطبية تتضح جلياً في القرن التاسع عشر متأثرة بمبدأ الحتمية والخصوصية نوعاً ما في طرحها (جابر، ١٩٨٨م). فلقد برزت العديد من الدراسات هذا المجال، وتوالت المساهمات إلى بدايات القرن العشرين. ومن الأمثلة على ذلك كانت الدراسة التي أوردها هنتجتن (Huntington) عام ١٩١٥م في كتابه عن "الحضارة والمناخ"، ودراسة مارخام (Markham) عام ١٩٤٥م في كتابه عن المناخ وطاقة الشعوب. كذلك كانت هناك دراسات ميلز (mills) التي قدمها عام ١٩٤٤م، وبروكس (Brooks) عام ١٩٥٢م (شرف، ص١١). وكان ستامب (Stamp) أول من قدم مساهمة في الجغرافيا الطبية، إذ يعتبر كتابه بعنوان "الجغرافيا الطبية" من أهم الكتب في هذا المجال (سيد والبيوك، ص٢). وعلى الرغم من توالى العديد من المساهمات بعد ذلك، إلا إنَّ الدور الفعلي والبعد الهام للجغرافيا الطبية بدأ يتضح جلياً من خلال الخرائط التي اهتمت بالتوزيع الجغرافي لبعض الأمراض.

ولعل أقدم الخرائط تلك التي تضمنها أطلس بيرج هاوس عام ١٨٣٧م، إذ اشتملت على توزيع الأمراض على مستوى العالم آنذاك. وتلا ذلك ظهور العديد من الخرائط والتي غلب عليها العموميات وقلة التفاصيل. ومن أهم ما يمكن ذكره في هذا الصدد هو تشكيل لجنة خاصة باسم الجغرافيا الطبية من قبل الاتحاد الجغرافي الدولي من خلال مؤتمره الذي عقد عام ١٩٤٩م، حيث أسهم ذلك المؤتمر في إثراء المعرفة والدراسات المتعلقة بهذا المجال(شرف، ص١٥). تلا ذلك ظهور العديد من الدراسات المتخصصة في الجغرافيا الطبية، ومن الأمثلة على ذلك الدراسات التي أشرف على تحريرها الدكتور جاك ماي (Jacque May)، حيث تركز الاهتمام في تلك الدراسات على عدة قضايا من بينها أيكلوجية الأمراض، وسوء التغذية في الشرق الأقصى والشرق الأدنى (المصدر السابق، ص١٢). كما أنَّ الاهتمام بخرائط التوزيعات الجغرافية قد ازداد منذ أواسط القرن التاسع عشر، حيث كان الغرض منها توضيح توزيع الأمراض وانتشارها وتحديد المناطق التي تعاني من نقص الخدمات الصحية (الرديسي ،2001م، ص١٧). وبذلك أصبحت صورة العلاقة فيما بين البيئة والأمراض أكثر وضوحاً. ومنذ بداية القرن العشرين أخذ ت خرائط التوزيعات الجغرافية شكلاً آخراً من حيث الدقة والتخصص، مما ساعد على إضافة بعداً آخر للجغرافيا الطبية والدراسات الجغرافية للأمراض الوبائية (شرف، ص١٥).

وعلى آية حال، فإن الجهود المتتابعة والدراسات العديدة تشير إلى أن تناول موضوعات الجغرافيا الطبية يتم من خلال توظيف منهجين رئيسيين من مجموعة المناهج في هذا المجال. وهذين المنهجين هما:

١- المنهج الأصولي: ويتضمن دراسة كل أو بعض جوانب الجغرافيا الطبية. وأهم هذه الجوانب هو معرفة دور العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية في ظهور الأمراض وانتشارها، وكذلك التعرف على الإمراض وعلاقتها بالبيئة وتوزيعاتها الجغرافية وأثر ذلك على الإنسان، علاوة على استخدام الوسائل المناسبة التي تساعد في الحد من انتشار الأمراض (المصدر السابق، ص١٧).

٢- المنهج الإقليمي: ويقوم على التركيز في مجال الجغرافيا الطبية على دراسة وحدات إقليمية معينة مثل الوحدات السياسية والإدارية. وقد أصبح لهذا المنهج

أهمية كبرى في العديد من المجالات مثل التخطيط الصحي، كما أنه يعتبر مـــن المناهج التطبيقية التي تهم الجغرافيين (شرف، ص١٨).

وعلاوة على أن للجغرافيا مناهج خاصة تدل عليها، واستطراداً لأوجه التقدم والتطور الذي حظيت به الجغرافيا الطبية حيث توج ذلك بالعلاقة فيما بينها وبين العلوم الأخرى. وعليه، فان من المهم ذكر الصلة بين الجغرافية الطبية وثلاثة من العلوم ذات الارتباط الكبير بها وهي علم ألأيكلوجيا الطبية Medical Ecology، وعلم الأوبئة Epidemiology، وعلم المتيرولوجيا الحيوية Biometeorology (المصدر السابق، ص٢٥). ولتوضيح العلاقة بين الجغرافيا الطبية والعلوم الآنفة الذكر، نجد أن علم الأيكلوجيا الطبية يقوم بدراسة الدورات الأيكلوجية للمرض وتحليلها في بيئتها المحدودة، في حين تهتم الجغرافية الطبية بدراسة أنماطها المكانية وتفسيرها باستخدام خرائط التوزيعات.أمَّا علم الأوبئة فيهتم بالتعرف على مناطق ظهور الأوبئة مع عدم إغفال الظروف المسببة لها. أما فيما يختص بعلم المتيورولوجيا الحيوية والذي يعتبر من العلوم البيئية الحديثة، فهو يختص بدراسة تأثير الجو والمناخ على الكائنات الحية وأهمها الإنسان وشؤون حياته المختلفة (المصدر السابق، ص٢٧).

وبناء على ما تقدم، تهتم الدراسة الحالية بالجوانب الجغرافية المرتبطة بالنوع (A) من مرض التهاب الكبد الوبائي في مدينة جدة الواقعة غربي المملكة العربية السعودية. فهي محاولة للتعرف على أهم الملامح المكانية لهذا المرض في جدة، كما أنها تهدف في الوقت نفسه إلى التعرف على اثر العوامل الطبيعية والبشرية التي لها علاقة بظهور المرض في المدينة. وسوف يتم تناول عناصر الدراسة في إطار المزج بين فرعي المنهج الإقليمي دون إغفال لبقية المناهج ذات الصلة بالجغرافية الطبية. هذا ويعتبر النوع (A) من أكثر أنواع التهابات الكبد انتشاراً على مستوى الدول. وهو يرتبط بالدرجة الأولى بانخفاض مستوى التوعية الصحية والتلوث البيئي وخصوصاً تلوث طعام الإنسان. ويأتي اختيار مدينة جدة أطاراً مكانياً لهذه الدراسة نظراً لكبر حجم المدينة وتعدد النشاطات بها (اقتصادية، وتجارية، صناعية، وأيضا ًسياحية). وعلاوة على ذلك فإنَّ حجم المدينة وعدد السكان بها في تزايد مستمر حيث بلغ عدد سكانها ٢,٨ مليون نسمة تبعا لتعداد عام ١٤٢٥هـــ (مصلحة الإحصاءات العامة، نتائج التعداد العام للسكان والمساكن، ١٤٢٥). ويجيء هذا التزايد في المدينة وحجم السكان بها نظراً

لعوامل الجذب المختلفة، خاصة في العقود الأخيرة حيث ساهمت الهجرة الداخلية والخارجية في هذه الزيادة. من هنا فقد تكون تلك الظروف البشرية الآنفة الذكر قد ساهمت في خلق بيئة مناسبة لإنتشار المرض مع عدم إغفال دور بعض الظروف الطبيعية مثل الأمطار، والحرارة، والرطوبة، خاصة في الصيف حيث تساهم تلك العوامل في خلق بيئة مناسبة لتوطن المرض. والمؤمل أن يتم من خلال هذه الدراسة الوصول إلى الأهداف المرجوة، كتحديد أكثر الجهات التي ينتشر بها المرض وأثر العوامل الجغرافية في ذلك . كما تأمل الباحثة أن تخرج الدراسة بتوصيات تساعد في زيادة التوعية اللازمة والتي تساهم في الحد من انتشار هذا المرض.